(٣٧)

غزوة بدر

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الأنفال الآية ١١].

﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة الأنفال الآيات من ٤٢ – ٤٤].

* * *

د

«وادى ذَفِران.. المسلمون يستأنفون رحيلهم فى اتجاه بدر.. يمعنون فى البعد عن طريق مكة المدينة المعتدل المعتاد.. يسلكون «ثنايا الأصافر»، ومنها إلى بلد يقال لها «الدَّبة»، فيتركون «الحَنَّان» بيمين - وهو كثيب عظيم كالجبل، وينزلون على مقربة من «بدر»..»

«النبى عليه السلام، وأبو بكر - يركبان ويضربان فى المكان تنطسًا للأخبار.. يصادفهما شيخ من العرب.. لا يعرفان هويته، فيستطلعان منه بحذر..».

أبو بكر : أما بلغك شىء عن قريش، ومحمد وأصحابه؟!

الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما!

النبى : إذا أخبرتنا أخبرناك!

الشيخ : أو ذاك بذاك!

أبو بكر : نعم

الشيخ : فإنه قد بلغنى أن محمدًا وأصحابه خرجوا من المدينة لثمان خلون من رمضان، فإن كان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم قد جاوزوا «مضيق الصفراء» ووادى «ذَفِران».. ولا بد أنهم بقريب، ولا يبعدون عنا هنا بكثير..

أبو بكر : وقريش؟!

الشيخ : إن كان قد صدقنى من أخبرنى بيوم خروجهم من مكة، فإنهم لا بد الآن قد جاوزوا «المشلّل» ثم «رابغ الرمل» ثم «الجُحْفة».. إلى الجنوب من سهل بدر..

«يتهيأ النبى وأبو بكر للانصراف..»

الشيخ : (مستوقفًا لهما) لم تخبرانى! ممن أنتما؟!

النبى : (فى اقتضاب) نحن من ماء!

«ينصرف عنه النبى وأبو بكر، والشيخ يضرب أخماسًا فى أسداس.. لا يجد فى الجواب ما يشفيه..».

الشيخ : (محادثًا نفسه) ما من ماء؟! أمن ماء العراق؟!

«الشيخ فى حيرته، والنبى وأبو بكر يختفيان وراء كثيب قريب..».

* * *

«وقد حل المساء بمضارب المسلمين حيث حطوا إلى الشمال على مقربة من «بدر».. النبى - ﷺ - يدعو إليه على بن أبى طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقاص.. فيبعثهم لتنطس الأخبار على ماء بدر..».

* * *

«على ماء بدر.. على والزبير وسعد يصادفون غلامين.. يبين لهم أن أحدهما يدعى «أسلم» غلام لبنى الحجاج، والثانى: «عريض أبو يسار» غلام لبنى العاص بن سعيد.. يصحبونهما إلى حيث مضارب المسلمين.. يلفون النبى - عليه السلام - قائمًا يصلى، فيتعجلون سؤال الغلامين عما كانا يفعلان على ماء بدر..».

الغلامان : نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء..

«لا يصدق المسلمون قالتهما.. يظنون أنهما لأبى سفيان، وأنهما يتعمدان حجب خبره! يندفع البعض فيضرب الغلامين..».

الغلامان : (تفاديًا للضرب) نحن لأبى سفيان!

«يقنع المسلمون بهذا الجواب، ويكفون عن الغلامين.. يفرغ النبى - ﷺ - من صلاته..».

النبى : (لأصحابه عاتبًا) إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما.. صدقا والله إنهما لقريش..

(يلتفت إلى الغلامين مترفقًا) أخبرانى عن قريش.

الغلامان : (وقد أفرخ روعهما) هم والله وراء هذا الكثيب (العقنقل) بالعدوة القصوى.

النبى : (للغلامين) كم القوم؟

الغلامان : كثير.

النبى : ما عدتهم؟

الغلامان : لا ندرى.

النبى : كم ينحرون كل يوم؟

الغلامان : يومًا تسعًا ويومًا عشرًا.

النبى : (لأصحابه) القوم فيما بين التسعمائة والألف.

(مستأنفًا للغلامين) فمن فيهم من أشراف قريش؟

الغلامان : أبو الحكم عمرو بن هشام (أبو جهل)، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البَخْترى بن هشام، وحكيم ابن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدى بن نوفل، والنَّضْر بن الحارث، وزمعة ابن الأسود، وأمية بن خلف، ونُبَيْه ومنبه ابنا الحجاج، وسُهَيْل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود..

النبى : (ملتفتًا لأصحابه) هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها!

* * *

«عانى المسلمون من إعنات قريش وكفار مكة ما عانوا، ولاقوا ببطاح مكة ورمضائها، وحول البيت العتيق، من صنوف التعذيب ألوانًا.. حتى هرب بعضهم من هذا العذاب بالهجرة الأولى إلى الحبشة، ثم عاد أكثر من ثمانين رجلاً بنسائهم فهاجروا الهجرة الثانية إلى الحبشة نجاة بأنفسهم مما يلاقونه من الكفار والمشركين، ومن صبية وغلمان مكة.. ولم يُجْد مع هؤلاء الطواغيت أى موادعة، وظلت العذابات تتصاعد وتتوالى حتى أكره الرسول ﷺ والمسلمون على ترك بيوتهم وأموالهم والهجرة إلى يثرب، تاركين وراءهم بلدهم ومراتع صباهم ودورهم.. ولم يدعهم كفار مكة وحالهم، فلاحقوهم بالتآمر وتأليب اليهود بالمدينة عليهم، والإغارة على سَرْحهم بأطراف المدينة.. لم يكفهم ما فعلوه بالمستضعفين بمكة، ولا مطاردة المهاجرين لدى النجاشى بالحبشة لحثه على طردهم، ولا فاهم أنهم تركوا لهم مكة وفروا بدينهم وأنفسهم من هذا التنكيل والعذاب، فتابعوهم بطغيانهم فى المدينة بعد أن فشلوا فى قتل النبى ﷺ ليلة هجرته.. لم يعد الأمر مقصورًا على ما يلقاه الرسول ﷺ والمسلمون من إيذاء وإنما صارت الدعوة مهددة بهذا الحصار المغيظ الذى يقيم فى وجهها العراقيل، ويؤلب عليها القبائل ويهود يثرب.. ترى ماذا بمستطاع

المسلمين أن يفعلوا إزاء هذه المطاردة اللحوحة، وهذا الطغيان والجبروت والإيذاء؟! وها هى قريش تصطنع الأساليب لقتالهم، فماذا هم صانعون؟!! لقد أخرجوهم من ديارهم كارهين، وجادلوهم فى الحق بلا حجة، وطاردوهم وآذوهم ولا يزالون!! وها هى قريش قد خرجت عن بكرة أبيها وبقضها وقضيضها بأفلاذ أكبادها لقتالهم بذريعة أن قافلة أبى سفيان مهددة!!.. مع أن القافلة مرت بسلام إلى مكة، بيد أن طواغيت قريش يأبون إلاَ قتال المسلمين لاستئصال شأفتهم ووأد الإسلام!!».

«النبى ﷺ فى عريشه، وقد طفق يتحنث يناجى ربه، يتنزل عليه الروح الأمين، فيوحى إليه من كلمات ربه..».

جبريل: (يتلو على محمد) ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الحج الآيتان ٣٩، ٤٠].

(يرتفع الوحى)

«النبى ﷺ يخرج إلى المسلمين قرير العين، يتلو عليهم ما تنزل عليه من آيات ربه..».

* * *

«على ماء بدر، بَسْبَس بن عمرو وعَدِىَ بنَّ أبى الزّغْباء.. يتفقدان المكان ليتسقطا الأخبار لموافاة نبى الله بها.. بسبس وعدى ينيخان راحلتيهما إلى تلّ قريب من الماء.. يأخذان شَنًّا (الزق البالى) ليستقيا من الماء فيه. على الماء مجدىّ بن عمرو الجُهَنىّ..».

«يلحظ بسبس وعدى جاريتين تنشدان الماء على النبع ولكنهما تتلاحيان.. يقتربان ليصيخا السمع..».

إحدى الجاريتين : (لصاحبتها) إنما تأتى العير غدًا أو بعد غد.. سأعمل لهم ثم أقضيك الدين الذى علىّ لك..

مجدىّ الجُهنى : (متداخلاً) صدقت..

«يتدخل مجدى بن عمرو الجهنى فيخلص بينهما!»

«بسبس وصاحبه يرقبان ما يجرى فى اهتمام..»

بسبس : (لصاحبه عدى) لابد أنها تعنى عير أبى سفيان!

عدى : بنا إلى رسول الله نطلعه..

«ينطلقان»

* * *

«بعد يوم.. بقريب من المكان يصل أبو سفيان بقافلته.. العير تريد أن ترد الماء، وأبو سفيان خائف وقد استبطأ ضمضم بن عمرو.. أبو سفيان يترك من معه على مبعدة ويتقدم بمفرده حذرًا إلى الماء يتنطس الأخبار.. يصادفه مجدىّ بن عمرو الجهنى..».

أبو سفيان : (لمجدى الجهنى) هل أحسست أحدًا بالمكان؟!

مجدى الجهنى : ما رأيت أحـدًا أنكـره.. (مستدركًا) إلا أنى رأيت راكبين قـد أناخـا إلى هـذا التل (يشير إلى مناخ عدى وبسبس)، ثم استسقيا فى شَنٍّ (زق) لهما ثم انصرفا..

«ينطلق أبو سـفيان ينشد التل الذى أشار إليه الجُهنـى.. يبحث عن المكان الذى أناخ فيه بعيرا الرجلين.. يعثر على بعض أبعار (جمع بَعْر: رجيع ذوات الخف وذوات الظلف).. يتناول أبو سفيان ما التقطه ويفته بيده.. يلحظ فيه «نوًى!»..

أبو سفيان : (مخاطبًا نفسـه فى قلق) هذه والـلاّت علائف يثرب!! لابد أن محمدًا وصحبه بقريب من هذا المكان!!

«ينطلق أبو سـفيان فى عجلـة واجلة.. يلحق بالعير فيضرب وجـه العير عن الطريق، ويأخذها بالقافلة بعيدًا عن بدر إلى الطريق الساحلى.. يسرع بالقافلة أقصى مستطاعه ليبعد عن مصدر الخطر!».

* * *

«مضارب قريش شمـال الجُحفة إلى الجنوب من بدر – عتبة وشيبة ابنا ربيعة منتحيان جانبًا يتناجيان!».

عتبة : (لأخيه شيبة) ألم تر إلى رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب؟!

شيبة : لقد خشيت منها!

«يتذاكران الرؤيا.. يلم بهما أبو جهل فيسمع طرفًا من حديثهما!».

أبو جهل : ما تحدثان به؟!

عتبة : نذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب..

أبو جهل : يـا عجبًا من بنى عبد المطلب!.. لم نرض أن تتنبأ علينا رجالهم حتى تتنبأ علينـا النسـاء!.. أما والله، لئن رجعنا إلى مكة لنفعلنّ بهم ولنفعلنّ!

عتبة : (مراجعًا) إن لهم أرحامًا، وقرابة قريبة!!

شيبة : (لعتبة) هل لنا أن نرجع؟

أبو جهل : (معارضًـا فـى جفاء وغلظـة) أترجعان بعد ما سـرتما، فتخـذلان قومكمـا، وتقطعـان بهم بعـد أن رأيتـم ثأركم بأعينكم؟!.. أتظنـان أن محمدًا وأصحابه يلاقونكما؟! كلا والله، ألا فـوالله إن معـى من قومى مائـة وثمانين من أهل بيتى، يحلون إذا حللت، ويرحلون إذا رحلت، فارجعا إن شئتما!

عتبة وشيبة : والله لقد هلكت وأهلكت قومك!

«ينطلق أبو جهل غاضبًا محنقًا!!»

عتبة : (لأخيه شيبة) هذا رجل مشئوم - وإنه لا يمسه من قرابة محمد ما يمسـنا، مع أن محمدًا معه الولد؟ فارجع بنا ودع قوله!

شيبة : تكـون والله سُـبَّة علينا يا أبا الوليـد أن نرجع الآن بعد ما سرنا!

* * *

«بـذات مضـارب قريش شمـال الجُحفة إلى الجنوب من بـدر.. يفجأ القرشـيون بصاحبهم جُهَيْم بن الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف يقف فيهم مناديًا فى وجل وهلع..».

جُهَيم بن الصلت : (فى وجل) يا معشر قريش، كنت قد أغفيت فرأيت فيما يـرى النائم وإنى لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال: قُتل عتبة ابن ربيعة، وشـيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمية ابن خلف، وآخرون من قومنا.. ثم رأيته ضرب فى لبّة بعيره (موضع الحبل بعنق البعير)، ثم أرسله فى العسكر، فما بقى خِباء من أخبية العسكر إلا أصابه نُـضَح (تلطيخ) من دمه!!

«يضطرب القرشـيون اضطرابًا شديدًا.. يأتى أبو جهل على أصوات الجلبة والجدال!».

أبو جهل : ما لهذا؟!

قرشى : هذه رؤيا شؤم رآها جُهَيم (يرويها له).. ما نحسب إلا أن قريشًا سوف يصيبها شر عظيم!!

أبو جهل : (ساخرًا فى استهزاء) هذا نبى آخر من بنى عبد المطلب، سيُعلم غدًا من المقتول نحن أو محمد وأصحابه!!!

بعض القرشيين : (لجهَيم بن الصلت) إنما يلعب بك الشـيطان فى منامك، فسترى غدًا خـلاف ما ترى!! يُقتل أشراف أصحاب محمد ويؤسرون!

«بذات مضارب قريش.. يخلو عتبة بن ربيعة إلى أخيه شيبة..».

عتبة : هـل لنـا فى الرجـوع؟!.. هـذه رؤيـا أخرى مثـل رؤيا عاتكـة، ومثل قـول عداس.. هل تذكر تحذير عداس وما قاله لنـا؟! هل تذكر إلحاحه فـى إثنائنا عن الخـروج؟!.. والله ما كذبنا عداس، ولعمـرى لئن كان محمد كاذبًا إن فى العرب لمن يكفيناه، ولئن كان صادقًا إنا لأسعد العرب به، إنا ملحمته!

شيبة : هو على ما تقول يا أبا الوليد، أفنرجع من بين أهل العسكر؟

«يتأهبان لتجهيز رواحلهم للرجوع!.. يدركهما أبو جهل!».

أبو جهل : ما تريدان؟!

عتبة وشيبة : الرجوع، ألا ترى إلى رؤيا عاتكة، وإلى رؤيا جُهَيم بن الصلت.. ليتك سمعت ما قاله عداس لنا..

أبو جهل : تخذلان والله قومكما، وتقطعان بهم!..

عتبة وشيبة : هلكت والله، وأهلكت قومك!

«يستسلمان على مضض لتصاريف الأقدار!!»

* * *

«أبو سفيان بقافلته وقد اجتاز وأبعد إلى طريق الساحل، وإذ أحس أنه صار بمأمن.. يدعو إليه قيس بن امرئ القيس وكان معه في القافلة، فيحمله رسالة عاجلة إلى قريش..».

أبو سفيان : (لقيس) أبلغ عني قريشًا أننا قد نجونا.. فلا تُجزروا أنفسكم أهل يثرب، فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك. قل لهم عني، إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم وقد نجاها الله، فارجعوا. فإن أبوا عليك، فلا يأبون خصلة واحدة، يردون القيان، فإن الحرب إذا أكلت نكّلت!!

«يطير قيس بن امرئ القيس بالرسالة إلى قريش..»

* * *

«مضارب قريش بقضها وقضيضها وقيانها على مشارف بدر.. يلحق بهم قيس، فينهى إليهم رسالة أبى سفيان..».

أبو جهل : (بعجرفة) القيان سنردها، ولكن ليس بعد.. أما أن نرجع فلا.. واللات والعزى لا نرجع حتى نرد بدرًا. فنقيم عليه ثلاثًا فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف علينا القيان قبل أن نردها إلى مكة. وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدًا بعدها!

«يندلع الجدل بين القرشيين، لا يُقر كثيرون ما يندفع إليه أبو جهل .. يرى أهل الرأى وعلى رأسهم الحارث بن عامر، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وحكيم بن حزام، وأبو البَخْترى، وأمية بن خلف – أن يرجعوا.. لا يرون غاية ولا حكمة فى هذا الاندفاع لقتال بلا هدف!!.. يغلبهم أبو جهل بتبكيته ومعايرته لهم على أمرهم.. يرضخون متململين.. يحرص كثيرون على رد القيان والدفاف إلى مكة!!».

«بنو زهرة ينتحون جانبًا، يتحدث فيهم حليفهم وحكيمهم الأخنس بن شريق..».

الأخنس بن شريق : (ناصحًا) يا بنى زهرة، قد نجى الله أموالكم، وخلص لكم صاحبكم مَخرمة بن نوفل، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا بى جُبنها وارجعوا، فإنه لا حاجة لكم أن تخرجوا فى غير ضيعة (منفعة) لا ما يقول هؤلاء!!

«ينزل بنو زهرة على رأى الأخنس، يجهـزون للرحيل عائدين إلى مكة، بينما يُعْنى البعض بأن يرد معهم القيان والدفاف!!!».

* * *

«مضارب المسـلمين إلى الشـمال على مشارف بدر، وقد تسربت أخبار قريش ورجوع من رجع، وعناية هؤلاء السفهاء الحمقى بالقيان والدفوف، خروجًا وعودة!!».

«المسلمون منشغلون بما هم فيه.. النبى - ﷺ - فى تعبده وتهجده، يتنزل عليه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلـو علـى محمـد) ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الأنفال الآية ٤٧].

(يرتفع الوحى)

* * *

«مضارب قريش، وأبو جهل يسـوقهم بعجرفته وغـروره.. ينهض بهم إلى حيـث نزلـوا بالعـدوة القصوى من الوادى خلف العقنقل (كثيب عظيم من الرمـل) وبطن الوادى، وهو «يَلْيَل»، بين بدر وبين كثيب العقنقل الذى خلفته قريش، والقُلب (جمع قليب وهو البئر) ببدر فـى العدوة الدنيا (الجانب القريـب) من بطن يَلْيَـل إلى المدينة.. قريش تحط رحالها تنتظر ماذا سوف يأتى به الغد!!».

* * *

«مضارب المسلمين على الجانب الآخر بجنوب بدر، كفار قريش يمنعونهم من الماء وهم أقرب إليه من المسلمين - تلم وساوس الشيطان ببعض المسلمين، يوسوس لهم: «تزعمون أنكم أولياء الله، وفيكم رسول الله وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون مخبتين»!!! يمضى الليل ثقيلًا متباطئًا وقد ألم النعاس بالمسلمين فناموا إلا من قليلين باتوا متيقظين يحرسون.. يخرج على بن أبى طالب يتفقد المسلمين - يلمح النبى ﷺ قائمًا يصلى تحت شجرة.. يتابعه على البعد فيراه لا يقطع صلاته ودعاءه حتى الصباح..».

* * *

«بذات الليلة، تنفتح ينابيع وأبواب السماء، فترسل إلى الأرض أمطارًا مدرارة غزيرة وهائلة.. بين الفريقين «قوز» (المستدير من الرمل).. بيد أن الأرض حيث نزلت قريش غير الأرض حيث نزل المسلمون.. الأرض التى نزلت بها قريش أرض سبخة، حولتها الأمطار إلى مزالق وأوحال تنزلق فيها الإبل والأفراس والرجال.. الوادى الذى نزل به المسلمون دَهْس (أرض لينة لا تبلغ أن تكون رملاً) فلبدت لهم الأمطار الأرض، ووطأتها وصلبت ترابها ورمالها،

فصارت أثبت وأطوع للسير ومواطئ الأقدام.. سال الوادى فشرب المسلمون وارتووا بعد ظمأ، وملأوا الأسقية، وسقوا الركاب، واغتسلوا وتطهروا من الجنابة.. ابتلت عروق المسلمين، وغشاهم النعاس الذى خفف ما بهم من إجهاد..».

«النبى عليه السلام فى تعبده ومناجاته ربه، يوافيه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الأنفال الآية ١١].

(يرتفع الوحى)

* * *

«سهول بدر» وآطامها وكثبانها وقد أصبح صباح السابع عشر من رمضان سنة ٢هـ.. كفار قريش موحولون بالأرض السبخة التى كانوا فيها قد حطوا، بينما المسلمون قد ارتووا، وتطهروا، ومهدت الأمطار الأرض لهم. وكرر النبى أمره لهم بالإفطار ليتقووا على ما يواجهون.. وإنهم ليدركون أنهم لا يقاتلون طلبًا للقتال، ولا سعيًا لبغى.. وإنهم ليدركون مما تنزل آنفا من الذكر الحكيم أن القتال لم يُؤذن به لبغى ولا لعدوان.. ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ

نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [سورة الحج الآيتان ٣٩، ٤٠].. لم يبادروا من يومها إلى قتال، واحتملوا صابرين، حتى تجمعت غيوم تكاتف عصابات الشر بالمدينة والقبائل المجاورة مع طواغيت قريش، للكيد لهم والعصف بهم والصد عن سبيل الله ومحاصرة الإسلام وضرب مجتمعه الوليد الذى أخذ يكبر ويتنامى بالمدينة.. قد علموا مما علموه من الآيات التى تنزلت أن الله تعالى لا يحب المعتدين. هم خرجوا ليردوا الخطر والعدوان الواقعين عليهما.. وأراهم الله سبحانه وتعالى من آياته ما اطمأنت إليه نفوسهم.. إنهم واقفون الآن على أرض استوت بالأمطار لهم، بينما قريش موحولة فى أرضها التى فيها حطت!!».

«النبى - ﷺ - يتحرك بالمسلمين ليسبقوا قريشًا إلى الماء.. بالأمس سيطرت قريش على الماء فمنعت المسلمين منه.. مع أنفاس الصباح الندية يبادر المسلمون إلى أدنى ماء أمامهم ببدر فينزلون به..».

* * *

«الحباب بن المنذر، ينظر فيتفقد المكان.. لا يتوقف إلاَ وقد ألم بكل ما حوله وأمامه وخلفه.. يتقدم إلى النبى - ﷺ - على استحياء..».

الحباب بن المنذر : يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟

النبى : بل هو الرأى والحرب والمكيدة.

الحباب : يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغوّر (نردم ونطمس) ما وراءه من القُلُب (جمع قَليب – البئر) ثم نبنى عليه حوضًا فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون..

النبى : (فى سماحة) لقد أشرت الرأى..

«النبى ﷺ ينادى فى المسلمين، فيتحركون إلى حيث أشار الحباب إلى أدنى ماء من قريش فينزلون عليه.. يعمدون إلى الآبار الأخرى فيردمونها بالأحجار ثم يبنون حوضًا على القليب (البئر) الذى نزلوا عليه يملؤونه ويقذفون فيه بالآنية».

سعد بن معاذ : يا رسول الله، ألا نبنى لك عريشًا تكون فيه، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله تعالى وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا.. فقد تخلف عنك أقوام يا نبى الله ما نحن بأشد لك حبًا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم: يناصحونك، ويجاهدون معك..

«النبى يثنى على سعد بن معاذ خيرًا، ويدعو له، ويأذن بإقامة العريش الذى به أشار سعد..».

«المسلمون يسارعون فيقطعون غصون «الأراك»، ويؤلفون بينها حتى صارت عريشًا، يأوى إليه الرسول ﷺ».

«على مرمى البصر تبدو طلائع فرسان قريش قادمة من وراء كثيب «العقنقل» بحدها وحديدها، تحاد الله عز وجل، وتحاد رسوله.. جاءت قريش على حرْدٍ (غضب) قادرين، وعلى حمية وغيظ وحنق على الرسول وأصحابه.. جمعهم الله تعالى على غير ميعاد.. المسلمون بالعدوة الدنيا، بأعلى الوادى، وطواغيت الشرك بالعدوة القصوى بأسفل الوادى وأسفل المسلمين.. إن المسلمين ليدركون ذلك ويرونه رأى العين، ويدركون مما يرونه أنها عناية الله شاءت ورتبت!».

«النبى - ﷺ - فى مناجاته لربه، يوافيه الروح الأمين فيوحى إليه».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة الأنفال الآيات من ٤٢ - ٤٤]

(يرتفع الوحى)

«النبى – ﷺ – يرقب طلائع وأرتال قريش، يتقدمهم زمعة بن الأسود على فرسه يتبعه ابنه.. يجول زمعة بفرسه فى المكان يريد أن يتبوأ للقوم منزلا..».

النبى : (لأصحابه) اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذى وعدتنى..!